بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ

مُقَدِّمَة

الحمد لله الذى أحكم بكتابه أصول الشريعة الغرّاء، ورفع بخطابه فروع الحنيفيّة السّمحة البيضاء، وصارت كلمته الباقية راسخة الأساس، وشامخة البناء: ﴿كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ أَصْلُهَا ثَابِتٌ وَفَرْعُهَا فِي السَّمَاءِ﴾[1].

أَوْضَحَ معالم العلوم، وأعلى مراتب العلماء، وأضاء ما بين المشرقين؛ بإرسال حبيبه سيّد الأنبياء.

ونحمده -امتثالًا لأمره- بالقصور والحصور والإعياء، على ما أسمع آذاننا أحسن الحديث والنّداء، من كتاب خالق الأرض والسّماء، وأجرى على ألسنتنا الضّعيفة المدح والثّناء، ذلك من سبق رحمته فى الابتداء، وظهور كرامته فى الانتهاء.

وبعد:

فلمّا رأيت أهمّ المهمّات فى باب النّصيحة فى الدّين؛ بيان التمسُّك بكتاب الله تعالى، وسنّة رَسُولِ الله ﷺ، وبيان الإعراض عمّا يخالفهما من المحدثات، اللّاتى يأبى العقل والشّرع عن قبولها من الاعتقاديّات، والعلميّات، والوجدانيات، لكثرة ذلك فى ذلك الزّمان.

---

(١) سورة إبراهيم: آية ٢٤.

فكل طائفة من أهل الزمان. قد اتبعو الأهواء والبدع، وأخلطوا فى الدين كثيرًا من الأباطيل جدًا.

حتى صار بحيث لا يميز الهدى عن الهوى، وكان كلهم يفعلون ما لا يؤمرون، ويحسبون أنهم مهتدون؛ فلا يستغفرون.

وعلمت أن ذلك كله من الغلو والتجاوز عن طريق الاقتصاد، والتوغل فى طرفيه من الإفراط والتفريط، فلا بُدّ من الفقه؛ «لأن الفقه معرفة النَّفْسِ مالها وما عليها».

فمعرفة النفس مالها وما عليها من الاعتقاديات يسمى علم الكلام، ومن الوجدانيات علم التصوف والأخلاق، ومن العمليات هى الفقه المصطلح كذا فى التوضيح.

فلا بُدّ من الحذر عن طرفى الاقتصاد فى الكل للتّفنّن والتخلُّص، وقد قيل: «من طلب الله تعالى بالكلام وحده؛ تزندق، ومن طلبه بالزهد وحده؛ ابتدع، ومن طلبه بالفقه وحده؛ تفسق، ومن تفنن؛ تخلص» كذا فى الشرعة.

فمن عرف ماله وما عليه فى كل الفنون؛ كان من أهل الخلاص فى دينه ومذهبه، فكان فى عيشه على الوساطة، والعدالة، ويراعى حدود شرعه فى الأمور كلها علمًا وعملًا، قالبًا وقلبًا، فيكون على الكمال فى النَّفْس البشرية بحسب قوتها النظرية والعملية، لعلمه بالمبدأ والمعاد، فبعدما أجملت ذلك حاولت أن أذكره على التفصيل متوكلا على الحى الذى لا يموت.

ولكن ينبغى أن يذكر قبل الشروع إلى بيان تفصيل المجملات؛ بعض الأحاديث الواردة فى النيات والإخلاص، والحذر عن الرياء.

لأن الإخلاص أصل عظيم فى جميع الأقوال والأفعال والأحوال، كما قال الله تعالى: ﴿وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعۡبُدُواْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ﴾[١] الآية.

وقال رسول الله ﷺ: «إِنَّمَا يَنْصُرُ اللهُ هَذِهِ الأُمَّةَ بِضَعِيفِهَا؛ بِدَعْوَتِهِمْ وَصَلاتِهِمْ وإِخْلاصِهِمْ». رواه النسائى وغيره[٢]، وهو فى البخارى وغيره من غير ذكر الإخلاص.

وعن أنس رضي الله عنه عن رسول الله ﷺ قال: «مَنْ فَارَقَ الدُّنْيَا عَلَى الإِخْلاصِ لله وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، وَإِقَامِ الصَّلاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ؛ فارقها وَالله تعالى رَاضٍ عَنْهُ». رواه ابن حبان، والحاكم؛ وقال: صحيح على شرط الشيخين[٣].

وعن أبى فِرَاس -رجل مِنْ أَسْلم- قال: نادى رجل فقال: يا رسول الله! ما الإيمان؟ قال: «الإخلاص»، وفى لفظ آخر قال رسول الله ﷺ: «سَلُونِى عَمَّا شِئْتُمْ، فنادى رجلٌ: يا رسول الله! ما الإسلام؟.

قال: إقام الصلاة وإيتاء الزكاة. قال: فما الإيمان؟ قال: الإخلاص. قال: فما اليقين؟ قال: التصديق». رواه البيهقى، وهو مرسل[٤].

---

(١) سورة البينة: آية ٤٥ .

(٢) رواه النسائى فى السنن الكبرى ٣/ ٣٠، برقم ٤٣٨٧ .

(٣) رواه ابن ماجه ١/ ٢٧، برقم ٧٠، والحاكم فى المستدرك ٢/ ٣٣٢ ، والبيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٤١، برقم ٦٨٥٦ .

(٤) رواه البيهقى فى شعب الإيمان ٥/ ٣٤٢، برقم ٦٨٥٨ .

وعن عمر بن الخطاب ﷺ قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنما الأعمال بالنية -وفى رواية-: بالنيات»[١].

* * *

(١) رواه البخارى، كتاب بدء الوحى، باب كيف بدء الوحي إلى رسول الله ﷺ، ١/ ١٥، فتح البارى.